Al-Asr International Research Journal of Islamic Studies
Vol 5 Issue 2 (April-June, 2025)
ISSN E: (2790-7694)
ISSN P: (2790-7686)
Published:
May 5, 2025

The Veneration of the Master of the First and the Last in the Holy Qur'an

تعظيمِ سيد الاولين و الآخرين فی القران الكريم

Dr. Ghulam Muhammad Qamar Alazhari
Director Minhaj-Ul-Quran Islamic Center
Humble Tx United States of America
E-mail: urqamar@gmail.com

Abstract

Veneration of the Prophet Muhammad (PBH) is a great part of faith. It is the right of the Prophet (PBH) that the Muslim ummah respect him more than all creatures. But nowadays, some Muslims have forgotten the greatness of the Prophet (PBUH). So this research shows how to maximize the Prophet (PBUH) in many aspects in the holy Quran.

Keywords: Veneration, Master, The Holy Quran

إن تعظيم النبي، وتوقيره، شعبة عظيمة من شعب الإيمان، وهذه الشعبة غير شعبة المحبة [1] بل إن منزلتها ورتبتها فوق منزلة ورتبة المحبة. ذلك لأنه ليس كل محب معظماً، ألا ترى أن الوالد يحب ولده ولكن حبه إياه يدعوه إلى تكريمه ولا يدعوه إلى تعظيمه, والولد يحب والده فيجمع له بين التكريم والتعظيم. والسيد قد يحب مماليكه, ولكنه لا يعظمهم. والمماليك يحبون ساداتهم ويعظمونهم. فعلمنا بذلك أن التعظيم رتبته فوق رتبة المحبة . فمن حق النبي على أمته أن يهاب ويعظم ويوقر ويجل أكثر من كل ولد لوالده, ومن كل عبد لسيده، فهذا حق من حقوقه الواجبة له مما يزيد على لوازم الرسالة, وهو ما أمر الله به في كتابه العزيز قال تعالى: لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ (1).

OPEN ACCESS
CC BY

Al-Asr International Research Journal of Islamic Studies
Vol 5 Issue 2 (April-June, 2025)
ISSN E: (2790-7694)
ISSN P: (2790-7686)
Published:
May 5, 2025

ولكن نجد فى عصرنا الراهن أن بعض المسلمين قد غابت عنهم عظمة الرسول ،وتوقيره فأخذوا ينكرون على أهل تقدير النبي ,وإجلاله تقديرهم و إجلالهم له ، و يصفونهم بالمبالغين في احترام رسول الله , ، ولم يكتفوا بالإنكار و الاعتراض فحسب، بل أخذوا يتحدثون عن الجانب الآخر في رسول الله ,- وهو البشرية - مهملين و متناسين الجانب الأهم في ذاته , الشريفة و هو جانب النبوة و الرسالة، واللهِ إن هذا لإجحاف بحق رسول الله ,، وهو ما يؤلم أكثر من غمز غير المسلمين؛ و لذا فلقد أردت أن أذكّر المسلمين فقط، فأعرفهم وأخبرهم أن تعظيم النبي,و توقيره و إجلاله,، و معرفة مكانته , ليست مبالغة أو شططاً، بل هو الواجب علينا جميعاً، و سأبين ذلك من خلال حديثي عن تعظيم سيّد الأوّلين والآخرين ,في القرآن الكريم، فالقرآن الكريم مليء بما يبين عظمة النبي صلى الله عليه وسلم و مكانته، و ذلك إما بآيات صريحة في هذا الموضوع أو بإيماءات و إشارات لا تبدو إلا لذى البصائر و النظر، من أهل التفسير أو أهل البلاغة، و لكن الآيات التي جآءت مصرحة أو مشيرة إلى عظيم قدره ,كثيرة، لا يمكنني أن أستوعبها في هذا البحث المتواضع، فسأذكربعضا منها، مبيناً أن الله رفع قدر نبيه ,و أعلى شأنه في القرآن الكريم من عدة نواحى:

الناحية الأولى: توصيف الله تعالى لحبيبه ,بالصفات العظيمة

الناحية الأولى – أن الله عز وجل قد وصف حبيبه , بالصفات العظيمة مالم يصفه أحد سواه، فمن ذلك: - وصفه بالرحمة، و هي صفة عظيمة، و كيف لا تكون كذلك وقد وصف الله بها نفسه؟ فهو الرحمن و الرحيم، وقد وصف بها حبيبه ,في عدة مواطن، فمرة يصفه بأنه الرحمة ذاتها، و أخرى نجده يشتق له من الرحمة وصف " الرحيم " و ما يلفت النظر أنه لم يصفه إلا بأعلى درجات الرحمة، لذا لم يرد في القرآن وصف النبي , باسم الفاعل، فلم يطلق عليه صفة "راحم" إنما ورد وصفه بالمصدر " رحمة " أو بصفة المبالغة " رحيم " و كلا الوصفين

OPEN ACCESS
CC BY

Al-Asr International Research Journal of Islamic Studies
Vol 5 Issue 2 (April-June, 2025)
ISSN E: (2790-7694)
ISSN P: (2790-7686)
Published:
May 5, 2025

يدلان على المبالغة في الاتصاف بصفة الرحمة، وحين وصفه بأنه الرحمة و هي المصدر وجدناه مرة يصفه بأنه رحمة للعالمين، فيقول تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين)(2) و مرة أخرى يصفه بأنه رحمة للمؤمنين، فيقول: (ومنهم الذين يؤذون النبي و يقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله و يؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم و الذين يؤذون رسول الله لهم عذابٌ أليمٌ) (3)

فوصفه بأنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم رحمة للذين آمنوا، ولا بد لنا من نظرة تحليلية عميقة للنص القرآني حتى لا نكون ممن يمرون على الآيات مرور الكرام فلا يعون ما يتلون، و سنقف أولاً عند ما يعنيه الوصف بالرحمة التي هي المصدر، فمن المعلوم في العربية و عند أهل البلاغة أن الوصف بالمصدر غير ممكن؛ لأنه غير مشتق، و لكن قد يوصف به لغرض بلاغي، و هو ادعاء أن الموصوف قد بلغ أعلى قمة في الاتصاف بالصفة التي وصف بها، و هو ما يسمونه بالمبالغة، و هذا يعني أنه لا يوصف بالمصدر إلا لغرض المبالغة، و المبالغة هنا مصطلح بلاغي عبر به البلاغيون و المفسرون كثيراً، و فرقوا بينه و بين المبالغة التي تعني الكذب، و بناء على هذا فإن وصف النبي , في الآيتين بأنه رحمة يفيد أنه ,قد بلغ في الرحمة درجة عالية حتى أصبح هو الرحمة ذاتها، وكأن الرحمة تجسدت في شخصته ,، فهو هي، و هي هو، و لذلك قال أبو السعود في تفسيره: (وهو رحمة، بطريق إطلاقِ المصدرِ على الفاعل للمبالغة)(4).

أما كون النبي ,يوصف مرة بأنه رحمة للعالمين، و أخرى بأنه رحمة للذين آمنوا، فلأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم رحمة عامة و رحمة خاصة، أما الرحمة العامة فهي للعالمين، و أما الخاصة فهي للمؤمنين، فالمؤمنون داخلون إذن في رحمة النبي ,لهم مرتين، و لكن لا بد أن نتأمل معنى " العالمين " لندرك مدى عمومية رحمة النبي ,، فالعالمين جمع عالم، و هذا

OPEN ACCESS
CC BY

Al-Asr International Research Journal of Islamic Studies
Vol 5 Issue 2 (April-June, 2025)
ISSN E: (2790-7694)
ISSN P: (2790-7686)
Published:
May 5, 2025

يعني أنه, ليس رحمة لعالم واحد و هو عالم البشر، بل هو رحمة لكل العوالم، و إنما استنبطنا أنه رحمة للكل من كون العالمين جمعاً و قد دخلت عليه لام الاستغراق و الجمع و لام الاستغراق من ألفاظ العموم، فنستنبط من هذا أنه ,رحمة لكل عالم يصدق عليه لفظ عالم، فهو رحمة لعالم الإنس و رحمة لعالم الجن و رحمة لعالم الملائكة و رحمة لعالم الحيوان و رحمة لعالم النبات و غيرها من العوالم، و هذا لا مبالغة فيه، و ليس إشارة غامضة بل هو صريح نص قرآني. فيتضح من هذه الآية تعظيم النبي ,و البيان الواضح في مدى علو قدره ,؛ لأنه يوضح أن النبي ,قد بلغ في صفة الرحمة العظيمة منتهاها، فكان رحمة لكل العوالم عموماً و رحمة للمؤمنين خصوصاً . و أما وصفه ,بأنه رحيم فلقد ورد في قوله تعالى: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)(5). و لو تأمّلنا في وصف " رحيم " نجد أنه جاء مشتقاً على وزن " فعيل " و هو أحد صيغ المبالغة، و يفيد الوصف بصفة من أمثلة المبالغة شيئين رئيسين: هما المبالغة و التكرار، فوصف الرسول ,بصفة رحيم يعني أنه ,قد بلغ منتهى صفة الرحمة و أعلى درجاتها، و كذا يعني أنها هي الصفة الغالبة عليه ,في كل أحواله و أخلاقه ,و ينبغي لنا أن نتأمل الأوصاف الأخرى التي وردت في هذه الآية، و هي " رسول من أنفسكم " و " عزيز عليه ما عنتم " و " حريص عليكم " و" رؤوف " و هي أوصاف تحثنا على مزيد من تقديره وإكرامه , يقول الإمام البقاعي عند تفسيره هذه الآية: (ولما كان الرسول يجب إكرامه و الوقوف في خدمته لأجل مرسله و لو تجرد عن غير ذلك الوصف، شرع يذكر لهم من أوصافه ما يقتضي لهم مزيد إكرامه).(6) .

أما مدحه بقوله: " من أنفسكم " فهو مدح و ثناء على نسبه ,، و حث للسامعين من قريش و العرب على إكرامه؛ لأنه عربي قرشي، و هذه الصفة تتطلب منهم الإقبال عليه بدل الإعراض عنه ,فهو , من قبيلتهم التي يفتخرون بها و يكرمونها.

OPEN ACCESS
CC BY

Al-Asr International Research Journal of Islamic Studies
Vol 5 Issue 2 (April-June, 2025)
ISSN E: (2790-7694)
ISSN P: (2790-7686)
Published:
May 5, 2025

و أما مدحه ,بأنه عزيز عليه عنت المؤمنين، فهو النعت الذي يبين مدى رأفة النبي ,و شفقته على أمته؛ إذ يشق عليه بشدة وقوعهم في العنت و الشدة رأفة بهم، و هذا يستدعي ممن يشفق عليهم مزيداً من الإكرام و العناية.

و أما مدحه بأنه حريص على أمته فهو نعت ثان يدل مدى رأفة النبي , وشفقته على أمته، و لقد دل "حريص " على بلوغ حرصه منتهاه على أمته، وذلك لمجيء وصفه بذلك على صيغة المبالغة "فعيل" فدل ذلك على شدة حرصه ,على نفع أمته وسعادتهم.
و أما مدحه, بالرأفة فللتأكيد على شدة رحمته ,؛ لأن الرأفة هي أشد الرحمة .(7) ويبين ابن عاشور الفرق بين وصف النبي, بالرأفة و وصفه ,بالرحمة، فيقول: (والرأفة رقة تنشأ عند حدوث ضرر بالمرؤوف به، يقال: رؤوف رحيم، و الرحمة رقة تقتضي الإحسان للمرحوم، بينهما عموم وخصوص مطلق، ولذلك جمع بينما هنا)(8)
والمتأمّل في الأوصاف التي وردت، فى الآية و هي " عزيز عليه ما عنتم" و "حريص عليكم" و " بالمؤمنين رؤوف" و " رحيم " يجدها كلها صفات تدل على رحمة النبي, العظيمة بأمته، و هذا البيان من الله لرحمة نبيه ,، و حثّ من الله لنا للمزيد من إكرم النبي ,و إجلاله,، لأن من بلغت رحمته هذا المستوى الرفيع بأمته يستحق من الأمة مزيد الإجلال و الاحترام، لأنه ليس فقط ثناء من الله على نبيه,و مدح له، إنما هو بيان لوصف عظيم في النبي ,يستحق من أجله كل الاحترام و التعظيم.
-و من تلك الصفات العظيمة التي وردت في القرآن للنبي ,وصفه ,بأنه الشاهد و المبشر و النذير و الداعي إلى الله و السراج المنير، يقول سبحانه وتعالى: (يا أيها النبيُّ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً. و داعياً إلى الله بإذنه و سراجاً منيراً) (9)
وسماه الله تعالى بالنور في قوله تعالى: (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما

OPEN ACCESS
CC BY

Al-Asr International Research Journal of Islamic Studies
Vol 5 Issue 2 (April-June, 2025)
ISSN E: (2790-7694)
ISSN P: (2790-7686)
Published:
May 5, 2025

كنتم تخفون من الكتاب و يعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) (10) . فلقد وصف الله نبيه محمداً ,بأنه نور، بعد أن شرفه بالإضافة إلى ذاته في قوله: "رسولنا" فالإضافة هنا للتشريف .(11)

و وصفه بالرسول و بالنبي و بالأمي و بالمدثر و بالمزمل، و هذه الكثرة من الأوصاف و الأسماء و الألقاب للنبي ,تدل على رفعة منزلته و مكانته عند الله، و تشير إلى وجوب المزيد من تعظيمنا لرسول الله , . و وصف ربنا أخلاقه , بالعظمة، فقال مخاطباً له، لنعرف نحن قدره, عندالله جلّ جلاله, فنزاد تقديراً و تعظيماً له ,:(وإنك لعلى خلق عظيم)(12) .و وصف ربه بالرشاد و السداد؛ لنعظمه و نقدره؛ لأن هذه الصفات تبعث في نفوس الناس تعظيم المتصفين بها و تقديرهم، فقال: (والنجم إذا هوى. ما ضل صاحبكم و ما غوى. و ما ينطق عن الهوى)(13) ورفع الحبيب عن مقام الخليل والكليم ومقامات جميع الانبياء المقربين , حتى صارمكلما بالله بلاوحى ولاترجمان أحد فقال تعالى (فأوحى إلى عبده مآ أوحى).(14) يعنى قال الحبيب للحبيب سراَ وعلمه وأكرمه بفاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقره (15) ووصفه بأنه على صراط مستقيم، فقال له:(يس. و القرآن الحكيم.إنك لمن المرسلين. على صراط مستقيم)(16) وهكذا نجد أن كل ما ورد من أوصاف للنبي , هي أسمى و أرقى ما يوصف به أحد من خلق الله.

الناحية الثانية: أن الرسول الكريم ,منّة من الله على المؤمنين

الناحية الثانية من نواح تعظيم الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم هو ذكره في كتابه أنه ,منة من الله على المؤمنين، يقول سبحانه: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)(17) . و نلاحظ هنا أنه سبحانه يؤكد لنا كون الرسول ,منة من الله تعالى على المؤمنين،

OPEN ACCESS
CC BY

Al-Asr International Research Journal of Islamic Studies
Vol 5 Issue 2 (April-June, 2025)
ISSN E: (2790-7694)
ISSN P: (2790-7686)
Published:
May 5, 2025

و مجرد اعتباره ,منة يدل على تعظيم الله له؛ لأن الله لا يمن إلا بما هو عظيم، أما تأكيد المنة بـ " لقد " فهو تأكيد لتلك العظمة، و حث للمؤمنين على أن يذعنوا بكون رسول الله ,منة، و أن يترجموا هذا الإذعان بالعمل من خلال تقدير و تبجيل و تعظيم تلك المنة و النعمة، و نلاحظ بعد ذلك تعظيمه من جهة ذكر مهامه العظيمة التي يقوم بها، و هي تلاوة الآيات و تزكية المؤمنين و تعليمهم الكتاب و الحكمة و هدايتهم، و هذه مهام عظيمة التى بينها الله تعالى ايضا تدل على عظمة من يقوم بها.

الناحية الثالثة: بيان القرآن لمهام عظيمة يقوم بها النبى ,.

الناحية الثالثة من نواح تعظيمه ,هو تعداد الذكر الحكيم لمهام عظيمة يقوم بها ,،و ذلك؛لأن الأعمال الجليلة والمهام العظيمة تدل على عظم من يقوم بها،و قد رأينا ذلك آنفاً عند قوله تعالى:(لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ)(18) وعند قوله تعالى:(قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (19). فقد ذكر ما يقوم به ,من أمور عظيمة يدل القيام بها على عظم فاعلها؛ فالإناء ينضح بما فيه، و كما قالوا: آثارنا تدل علينا، فالفعل العظيم يدل على عظم فاعله، و قد ذكر الله هنا ما يقوم به ,من أمور عظيمة و هي الهداية إلى سبل السلام، و إخراج الناس من الظلمات إلى النور؛ ليلهب فينا مشاعر الحب و التقدير للنبي ,؛ لأنه قد جرت عادة الناس أن يعظموا ذا الأعمال الجليلة، و أي أعمال أجل من هذه المهام التي يقوم بها رسول الله ,، إذن هو أحق الخلق بالتقدير و التعظيم و الاحترام. و يذكر مهامه العظيمة أيضاً في قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ

OPEN ACCESS
CC BY

Al-Asr International Research Journal of Islamic Studies
Vol 5 Issue 2 (April-June, 2025)
ISSN E: (2790-7694)
ISSN P: (2790-7686)
Published:
May 5, 2025

مُّبِينٍ)(20)

فقد تبيّن الآية ما يقوم به الرسول ,من أعمال عظيمة مشيراً بذلك إلى عظمة القائم بتلك الأعمال و هو رسول الله ,، فهو يتلو على الأميين الآيات و يطهرهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة و يهديهم. و يذكر أيضاً أنه , يهدي إلى صراط مستقسم، فقال له مخاطباً: (و إنك لتهدي إلى صراط مستقيم. صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض)(21). ويذكر أيضاً ما يقوم به من أعمال عظيمة عند قوله تعالى: (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة و الإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر و يحل لهم الطيبات و يحرم عليهم الخبائث و يضع عنهم إصرهم و الأغلال التي كانت عليهم) (22) . فهو ,يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر و يحل الطيب و يحرم الخبيث و يخفف عن أهل الكتاب ما كان عليهم من أحكام تثقل كواهلهم، وهذه كلها أعمال عظيمة تدل على عظم فاعلها و هو النبي ,، و نلاحظ أن في نسبة الإحلال و التحريم إلى النبي ,إشارة إلى كون النبي ,مشرعاً، و هذا بحد ذاته كاف في الدلالة على علو مكانته ,.

الناحية الرابعة: منحة الله واعطاءه لحبيبه ,

الناحية الرابعة من نواح تعظيم النبي ,ما منحه الله و أعطاه لحبيبه ,، فقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم ما خص به نبينا ,من إكرام بأمور كثيرة لم يعطها أحداً قبله، و سورة الشرح شاهدة بذلك من جهة اللغة التي خاطبه بها و من جهة نوعية الأمور التي أكرمه به، فلقد أكرمه بشرح الصدر و وضع الوزر و رفع الذكر ووعده بتيسير الأمور له ,و لأمته، و أما اللغة فقد كانت اللغة العجيبة، لغة المحب الغيور على حبيبه، فلقد استهل ذلك بالاستفهام الإنكاري: " ألم نشرح لك صدرك " (23) فأنكر انتفاء الشرح؛ زيادةً في إثباته و تأكيداً لوقوعه، و الغرض من ذلك إدخال السرور إلى قلبه ,، و لذا فلقد قدم الجار و المجرور على المفعول في قوله: " ألم نشرح لك صدرك" و قوله: " ووضعنا عنك وزرك" و قوله:" ورفعنا لك ذكرك" فتقديم الجار و المجرور على المفعول به أفاد الاختصاص، أي الشرح وقع لك دون غيرك، ووضع الوزر وقع لك دون غيرك، و ورفع الذكر وقع لك دون غيرك,و الغرض من ذلك المسارعة

OPEN ACCESS
CC BY

Al-Asr International Research Journal of Islamic Studies
Vol 5 Issue 2 (April-June, 2025)
ISSN E: (2790-7694)
ISSN P: (2790-7686)
Published: May 5, 2025

في إدخال المسرة إلى قلبه ,كما أشار إلى ذلك أبو السعود في تفسيره ،(24) و هذا بعض ما أشرت إليه من كون اللغة في هذه السورة تشتمل على تعظيم النبي ,، فذكر ربنا هذه المنح بهذه اللغة يدل على عظمة النبي ,، :" ورفعنا لك ذكرك"(23)قال التسترى أى وصلنا اسمك باسمنا فى الآذان والتوحيد , فلا يقبل إيمان العبد حتى يؤمن بك .(25)و إكرام الله له، و نأخذ شاهداً آخر على تعظيم الله لنبيه ,من خلال ذكره ما حباه به من إكرام بأمور عظيمة، و هو ما ذكره الله تعالى في سورة الفتح من أمور كثيرة فقد ذكر أنه تعالى فتح له فتحاً مبيناً و أنه غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر و أنه يريد أن يتم نعمته على حبيبه ,، وأن يهديه صراطاً مستقيماً، و ينصره نصراً عزيزاً، يقول سبحانه: (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً. ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً. وينصرك الله نصراً عزيزاً).(26) و ذكر سبحانه في نفس السورة أن مبايعة النبي ,مبايعة لله، فقال: (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم)(27) و أعطاه سبحانه مرتبة عالية فجعله أسوة حسنة للمؤمنين فقال:(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (28) و أكرمه تعالى بأن جعل طاعة الرسول ,طاعة له، فقال:(من يطع الرسول فقد أطاع الله) (29) و أكرمه الله بمنعه و عصمته من الناس فقال: (والله يعصمك من الناس)(30).و أكرمه بالسبع المثاني و القرآن العظيم، فقال له: (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني و القرآن العظيم) (31) و أكرمه سبحانه وتعالى و شرفه باستمرارية صلاته هو وملائكته على النبي ,و تكرارها دونما انقطاع كما يشير إلى ذلك التعبير بالمضارع " يصلون" من قوله تعالى: (إن الله و ملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً)(32)

وأكرمه وشرفه بأن بدأ بالإخبار عن الصلاة عليه بذاته العلية، ثم ثنى بالملائكة حثاً للمؤمنين أن يصلوا عليه و يسلموا تسليماً. وحتى بشّره, باكرامه , فى الآخرة فى قوله تعالى: (وللآخرة خير لك من الأولى) (33). أى قال: ادخرت لك من المقام المحمود ومحل الشفاعة خيرا مما أعطيتك فى الدنيا من النبوة والرسالة.(34) و كذلك أكرمه بأن ربط الفلاح و النجاة و الفوز بالإيمان به و بتعزيره أي تعظيمه و بنصرته و باتباعه، فقال: (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه و اتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون)(35)

و نلاحظ أن الآية هنا تصرح بضرورة تعظيم الرسول , وتوقيره، فالتعزير هو التعظيم والتوقير، ففي هذه الآية تصريح بوجوب التعظيم الذي ينكر البعض تقديمه للرسول ,، فالتعزير هو النصرة مع التعظيم ، (36) (وعزروه): أي عظموه ووقروه . (37) ويقول الجزائرى :**فيه وجوب توقير النبي , وتعظيمه ونصرته وإتباع الكتاب الذي جاء به والسنن التي سنها لأمته .** (38) و أكرمه بأن ربط أيضاً محبة الله باتباعه، فلا يمكن أن يتحقق العبد بحب الله إلا إذا اتبع النبي ,، يقول الله تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله

OPEN ACCESS
CC BY

Al-Asr International Research Journal of Islamic Studies
Vol 5 Issue 2 (April-June, 2025)
ISSN E: (2790-7694)
ISSN P: (2790-7686)
Published: May 5, 2025

)(39). و أكرمه الله فقال له: (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا)(40) أي في حفظنا و حمايتنا بحيث نراقبك ونكلؤك و هذا منتهى العناية بالنبي, .

و مما يؤكد مكانة النبي ,ما يكرم الله به هذه الأمة من أجل خاطره ,فمن ذلك ما أكرمه الله به بأن جعل المجيء إليه ,و استغفار الله في حضرته واستغفاره ,سبباً في مغفرة ذنوب المسرفين على أنفسهم من أمته، فقال: (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسوللوجدواالله توابًارحيماً)(41)

و هناك إشارة دقيقة في القرآن الكريم إلى ما يمنح الله الأمة من أجل خاطره ,، فمن تلك الإشارات ما ذكره الله تعالى في قوله: (و ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم)(42) و اللافت للنظر هنا أن الله أكرم أمة الدعوة لا أمة الإجابة من أجل خاطره ,، فهنا يبين ربنا بصريح العبارة أنه أكرم الكافرين المعاصرين له فلم ينزل العذاب بهم إكراماً لوجود رسول الله ,فيهم، و ما يلفت النظر أنه سبحانه لم ينزل العذاب بهم مع أنهم جحدوا و تحدوا أن ينزل فيهم العذاب، فقالوا كما حكى الله عنهم: (اللَّهُمَّ إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارةمنالسماءأوائتنابعذابأليم)(43)

و لقد جرت سنة الله أنه لا يتحدى في كبريائه و قدرته و عزته و قوته إلا و ينزل العقوبة عاجلاً بمن تحداه كما كان يقع في الأمم التي خلت، لكن هنا مع أمة عاصرت النبي ,و لا ينزل الله هؤلاء الكفرة العذاب الذي طلبوه تحدياً، و يصرح ربنا بأنه ما تركه إلا لأجل خاطره , . و من الإشارات إلى مكانة النبي ,من خلال ما منحه الله للأمة من أجل خاطره ما ذكره الله تعالى في قوله: (و ربك الغني ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشاكم من ذرية قوم آخرين)(44), فالآية تشير إلى سبب عدم وقوع الذهاب بهم واستخلاف قوم آخرين من بعدهم، و ذلك من خلال ما ذكره في بداية الآية من كون الله تعالى هو الغني وحده، ولا غني سواه، وكونه ذا الرحمة دون غيره، و كونه رب محمد ,الذي يحسن إليه، ومن إحسانه

OPEN ACCESS
CC BY

Al-Asr International Research Journal of Islamic Studies
Vol 5 Issue 2 (April-June, 2025)
ISSN E: (2790-7694)
ISSN P: (2790-7686)
Published:
May 5, 2025

إليه أنه لا يهلك الأمة التي أرسل إليها. و لا بد قبل الانتقال إلى الانتقال إلى الجانب التالي من بيان الغرض من ذكر القرآن ما حب الله به نبيه من محمد ,من إكرم أو ما حب به الأمة من أجل خاطره ,، فالغرض من كل هذا حث الناس على إكرامه و إجلاله و احترامه و تعظيمه ,؛ لأنه قد جرت عادة الناس أن يتعلقوا و يعظموا من حاز شيئاً من المكارم، فكيف بمن حاز كل المكارم، و هو ,، و كذا قد جرت عادة الناس أن يحبوا و يعظموا من أكرموا من أجل خاطره، فعليهم إذن أن يحبوا رسول الله ,و أن يتعلقوا به؛ لأن ما ينالونه من مكارم هو من أجل خاطره.,

الناحية الخامسة : التشديد على وجوب الأدب مع النّبي ,

الناحية الخامسة من نواح تعظيمه ,هو التشديد على وجوب الأدب معه ,كما ورد في الذكر الحكيم من حث على الأدب معه صلوات الله وسلامه عليه، و سورة الحجرات تشهد بذلك، حيث يبدأها الله بقوله:(يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم)(45) . قال التسترى : ان الله تعالى أدب عباده المؤمنين , أى لاتقولوا قبل ما يقول , فاذا قال فأقبلوا عليه ناصتين له , مستمعين إليه , واتقوا الله فى إهمال حقه , وتضييع حرمته.(46) و كذلك نلاحظ هنا تشديداً على ضرورة الأدب معه ,من خلال النهي و من خلال حذف مفعول " تقدموا " حيث عم بذلك الحذف النهي، فشمل كل أشكال التقديم بين يدي رسول الله ,؛ إذ حذف المفعول يفيد عموم الفعل، فيسلط النهي عندئذ على كل نوع من أنواع التقديم، فلا يقدموا بين يديه حديثاً و كذلك لا يتقدموا على رسول الله ,في مشية أو جلسة، ولا يقدموا أنفسهم بين يديه، و لا يقدموها عليه، على غرار ما قال في سورة التوبة: (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه)(47) و نلاحظ هنا أنه نهى عن تخلفهم و عن رغبتهم بأنفسهم عن نفسه بأشد أنواع النهي، و هو نفي الجحود، فهو نهي بصورة النفي، و هذا الأسلوب يفيد النهي وزيادة، و الزيادة التي يفيدها ذلك النوع من النهي هو الإشارة إلى أن هذا مما ينبغي أن لا يوجد أصلاً، و نلاحظ أيضاً أن النهي هنا لم يكن عن تخلفهم عن الجهاد مع أن هذا هو ما فعلوه، و لكن الله تعالى نهاهم عن التخلف عن رسول الله ,و كأنه يشير إلى أن ما ارتكبوه من تخلفهم عن رسول الله هو أفظع من تخلفهم عن الجهاد، لذا فهو لم ينع عليهم إلا تخلفهم عن رسول الله , ورغبتهم بتقديم أنفسهم و حياتهم على حياة النبي ,ونفسه . ثم بعد ذلك ننتقل إلى أدب آخر مع النبي ,يعلمه الله تعالى للمؤمنين، فيقول سبحانه: (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر

OPEN ACCESS
CC BY

Al-Asr International Research Journal of Islamic Studies
Vol 5 Issue 2 (April-June, 2025)
ISSN E: (2790-7694)
ISSN P: (2790-7686)
Published: May 5, 2025

بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون)(48) . فلقد نهاهم عن رفع الصوت أمام رسول الله ,، و أن ينادوه كما ينادي بعضهم بعضاً، أى **لا ترفعوا أصواتكم إلى حد يكون فوق ما يبلغه صوت النبي صلى الله عليه وسلم، وقال المفسرون:المراد من الآية تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره، وأن لا ينادوه كما ينادي بعضهم بعضاً**. (49) .

الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر، صَيدَا – بَيروتو بين خطورة إساءة الأدب مع النبي ,، و ذلك من خلال بيان فظاعة العقوبة؛ لأن غلظ العقوبة ينبئ بهول الذنب وضخامته عند مرتب العقوبة على الذنب، و هو الله، فهنا العقوبة خطيرة جداً، و هي إحباط الأعمال و إبطالها، و هذا يدل على فظاعة الذنب المرتكب، و هو أدنى درجات إساءة الأدب مع النبي ,، و هذا يجعلنا نرجع فنتأمل، إذا كان رفع الصوت و الجهر - و هو أدنى درجات إساءة الأدب - يوجب إحباط الأعمال، فكيف بالإساءات الأخرى للنبي ,التي لا يفتأ أقوام عن توجيهها للنبي ,، و هي متعددة الأشكال و الكيفيات، فهناك من يؤذيه في ذاته ,، و هناك من يؤذيه في الإنقاص من قدره ,، و هناك من يؤذيه في أهل بيته، و هناك من يؤذيه في صحبه، نسأل الله السلامة من كل هذا. والمتأمّل في الآية يستنبط إشارة مفادها: أن العمل الصالح لا ينفع صاحبه مع الإساءة للنبي ,؛ لأن تلك الأعمال مهما كثرت ستصبح هباء منثوراً مع أدنى إساءة للنبي , .

ثم ننتقل إلى الآيات الأخرى بعد ذلك، فنجد أنه سبحانه و تعالى يمدح أهل الأدب مع رسول الله ,، فيقول: (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهممغفرةوأجرعظيم)(50)

ثم يذم مسيئي الأدب مع النبي ,، فيصفهم بأن أكثرهم لا يعقلون، أي ليسوا من أهل العقل و التدبر؛ لأن صاحب التدبر و التفكر يعلم أن الأدب مع النبي ,يعتبر معياراً لقبول العمل أو رفضه، يقول سبحانه: (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون)(51) . **قال المفسرون:المراد من الآية تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره، وأن لا ينادوه كما ينادي بعضهم بعضاً**. (52)

OPEN ACCESS
CC BY

Al-Asr International Research Journal of Islamic Studies
Vol 5 Issue 2 (April-June, 2025)
ISSN E: (2790-7694)
ISSN P: (2790-7686)
Published:
May 5, 2025

ثم ننتقل إلى موطن آخر في القرآن الكريم، فنجد أن المولى في سورة النور يعلم المؤمنين أدباً دقيقاً مع النبي ,و هو أن لا ينهضوا من مقامهم و أن لا يذهبوا من مجلسهم حتى يستأذنوا النبي ,، يقول سبحانه وتعالى: (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) (53) . و نلاحظ هنا أن الآية لم تكتف بالإرشاد إلى ذلك الأدب الرفيع مع النبي ,، إنما بينت أن ذلك ضروري لتحقق الإيمان، و ذلك من خلال حصر وصف الإيمان بالالتزام بشيئين، هما: الإيمان، و عدم الانصراف من المجلس إلا بإذنه ,، إذن القضية ليست مجرد أدب، إنما هي أدب له مدلول إيماني، و يؤكد ذلك ما ختم الله به تلك الآية من تأكيد بإنّ على أن الذين يلتزمون بهذا الأدب أولئك هم أهل الإيمان بالله ورسوله، و لايغيب عن بالنا ما تفيده إشارة البعد أولئك من بيان علو قدر الملتزمين بذلك الأدب، و ما تفيده من تقرير للخبر و هو " يؤمنون بالله ورسوله" و هذا ما يجعلنا نستنبط أن الإيمان لا يجتمع مع إساءة الأدب للنبي ,، ثم نتابع في الآية التي تتلو هذه الآية، فنجد أن ربنا ينهى المؤمنين أن يجعلوا دعاء الرسول ,و نداءه مماثلاً لنداء بعضهم بعضاً ، فيقول سبحانه و تعالى: (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً)(54) .

فلابد من تعظيمه حين ندائه ,، وهذا الأمر كان سنة في نداء النبي ,في القرآن الكريم، فلقد عظمه في نداءاته كلها، فلم يناده باسمه قط، إنما كان يناديه بقوله: يا أيها الرسول، أو يا أيها النبي، و لم نجده ولو مرة يناديه يا محمد، كما كان ينادي بقية الأنبياء و المرسلين سلام الله عليهم أجمعين، فإذا كان الله في عليائه و جلاله لم يناد رسوله باسمه مجرداً عن ألقاب التعظيم و الرفعة، فكيف يأذن لخلقه أن ينادوا حبيبه , بما لم يناده هوبه.

OPEN ACCESS
CC BY

Al-Asr International Research Journal of Islamic Studies
Vol 5 Issue 2 (April-June, 2025)
ISSN E: (2790-7694)
ISSN P: (2790-7686)
Published:
May 5, 2025

ثم ننتقل إلى قول آخر من اقوال تعليم الأدب مع النبي ,في القرآن الكريم، و هو قول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه و لكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا و لا مستأنسين لحديث إن ذلك كان يؤذي النبي فيستحي منكموا للهلايستحيمنالحق)(55)

فهنا يعلم المؤمنين أدباً رفيعاً مع النبي ,تعظيماً لقدره و إجلالاً لمكانته، فينهاهم عن دخول بيته ,إلا عندما يدعوهم أو يأذن لهم، و نهاهم أن يطيلوا الجلوس معه ,إجلالاً له، لأن من إجلال العظماء أن لا يطال الجلوس في حضرتهم، و من هنا نهاهم عن الجلوس انتظاراً لنضج الطعام، و أمرهم بالانتشار و الانصراف بعد الأكل مباشرة، و نهاهم أن يجلسوا مستأنسين بحديث، و كأنه هنا يفهمهم أن التعامل مع النبي ,ليس كتعاملهم مع بعضهم، إنما هو تعامل قائم على تعظيمه و إجلاله و تقديره، و نلاحظ في الآية لهجة الغيرة على الحبيب ,حتى لا يستغل أحد حياء النبي ,فيخل بتلك الآداب و يتعامل مع النبي ,تعاملاً مجرداً من التعظيم و الاحترام، و لقد حرص القرآن على أن يفهّم المؤمنين أن رسول الله,عالي القدر و الجناب، و أن التعامل معه و نداءه الجلوس ومعه و الحديث معه يختلف عن حديث المؤمنين فيما بينهم، ولذا نجده في بادئ الأمر يأمر المؤمنين أن يقدموا بين يدي نجواهم و حديثهم مع النبي ,صدقة، فيقول: (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين نجواكم صدقة ذلكم خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم)(56) .

و الغرض من هذا الأمر أن يعلم المؤمنون من هو رسول الله ,،و أن يفهموا أنه ,عالي المقدار رفيع الشأن، فلا يناجى و لا يتحدث معه إلا على طهارة، و لذا فالذي يريد أن يناجيه عليه أن يتطهر بالصدقة حتى يكلم رسول الله ,و هو نقي من الدنس و قذارة الذنوب، و لكن لما شق

OPEN ACCESS
CC BY

Al-Asr International Research Journal of Islamic Studies
Vol 5 Issue 2 (April-June, 2025)
ISSN E: (2790-7694)
ISSN P: (2790-7686)
Published:
May 5, 2025

ذلك عليهم نسخت الآية، بقوله بعدها: (أأشفقتم أن تقدموا بين نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة و آتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله)(57).

و لعل الغرض من تشريع ذلك الأمر أولاً ثم نسخه هو الإشارة إلى وجوب تعظيم النبي ,و احترامه، و مما يؤكد ما ذكرناه من حرص الذكر الحكيم على إفهام المؤمنين مقدار نبينا ,العظيم ما نجده في لغة العتاب التي كان يعاتب فيها رسول الله ,، فهي لغة تعلم الأدب في الحديث مع النبي ,، فمثلاً حين العتاب في إذنه ,للمنافقين، نجد اللغة الرقيقة التي قدم فيها العفو عنه أول الحديث، فلقد سبقت المغفرة العتاب، يقول الله تبارك و تعالى: (عفا الله عنك لما أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا)(58)

و طبعاً لله عز وجل أن يخاطب من يشاء بما يشاء، ولكنه أراد أن يفهمنا أن رسول الله ,عظيم القدر لا يخاطب إلا بلغة الاحترام، ولهجة الأدب، و لذا حينما عاتبه في الأعمى لم يواجهه بالخطاب مواجهة إجلالاً له من أن يواجه بالعتاب، فتحدث معه و هو يخاطبه بضمير الغيبة، و كأنه يتحدث عن شخص آخر غير رسول الله ,فقال له: (عبس و تولى أن جاءه الأعمى)(59) .

و الأمثلة على ذلك كثيرة، إلا أن قصر البحث لا يسمح لى الوقوف عندها كلها، و لكن ما نستخلصه مما وقفنا عنده من تعليم الأدب مع النبي ,في القرآن الكريم هو أن الله يريد منا أن نتأدب معه ,؛ لأنه يريد منا أن نعظمه و نوقره و أن ننزله في المكانة العظمى التي أنزله الله فيها .

OPEN ACCESS
CC BY

Al-Asr International Research Journal of Islamic Studies
Vol 5 Issue 2 (April-June, 2025)
ISSN E: (2790-7694)
ISSN P: (2790-7686)
Published:
May 5, 2025

الناحية السادسة: حرص الله تعالى على رضا النبى ,

الناحية السادسة: من نواح تعظيمه في القرآن الكريم ما نجده من حرص المولى على رضاه, : و الآية في سورة الضحى صريحة في هذا، فلقد أكد له ربه وعده له بالعطاء الذي يحقق له الرضا، فقال له: (و لسوف يعطيك ربك فترضى)(60) .و هذا يدل على علو مرتبة النبي ,ومكانته عند ربه، فلولا أن الله حريص على رضاه لما وعده بالعطاء الذي يرضيه، و لعل ذلك الحرص يتضح لنا أيضاً من قوله تعالى: (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها)(61)

فهو هنا ينص على أن توجه النبي ,و الأمة إلى الكعبة إنما هو لإرضاء خاطر النبي ,، و هذا أمر يستحق التفكير فيه و الوقوف عنده، فليس هيناً أن نجد تشريعاً لأمر عظيم كالتوجه إلى القبلة في الصلاة يكون كما يرضى سيدنا محمد ,، فليتنا نتعلم من القرآن الكريم الحرص على رضا النبي ,، فمما لاشك فيه أن الغرض من بيان القرآن لأهمية رضا النبي ,عند الله إنما هو حث المسلمين على كسب رضاه، و تقديره و تبجيله .,

الناحية السابعة: غيرة الله تعالى على حبيبه ,ودفاعه عنه,

الناحية السابعة من نواح تعظيمه ,في القرآن الكريم يتضح لنا في غيرة الله تعالى على حبيبه ,ودفاعه عنه، و تدلّ على ذلك آيات كثيرة، فمن ذلك ما نراه في سورة الضحى من رد المولى سبحانه وتعالى على من قال: إن محمداً قد قلاه ربه، فأجابهم المولى بقوله: (والضحى. و الليل إذا سجى. ما ودعك ربك و ما قلى)(62)

و نلاحظ هنا أن الخطاب يتوجه للنبي ,تطميناً له و تسكيناً لقلبه الشريف و تثبيتاً لما يعلمه من مكانته عند ربه، و لا شك أن في ذلك تنويهاً بقدره ,؛ لأن الله لا يدافع إلا عمن علا قدره و ارتفع شأنه.

OPEN ACCESS
CC BY

Al-Asr International Research Journal of Islamic Studies
Vol 5 Issue 2 (April-June, 2025)
ISSN E: (2790-7694)
ISSN P: (2790-7686)
Published:
May 5, 2025

و من الآيات التي دافع فيها المولى عن حبيبه ,و رد فيها على أعدائه ما نقرأه في القرآن الكريم من رد عنيف على من رموا النبي ,بالجنون فرد عليهم قولهم و دافع عن الرسول ,وطيب خاطره, بقوله: (ن و القلم و ما يسطرون. ما أنت بنعمة ربك بمجنون)(63) . و قوله أيضاً: (فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولامجنون) (64)
و رد على المفترين أيضاً بقوله: (وما صاحبكم بمجنون)(65)
و قال منكراً عدم تفكرهم حين قالوا ما قالوا؛ ليثبت بذلك أن هذا القول لا يصدر إلا عمن عطل عقله وفكره:(أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة)(66) و تتجلى لنا غيرة الله تعالى على حبيبه ,و حبه له في بعض الآيات التي نجد فيها إشفاق المولى على حبيبه من أن يناله أدنى مكروه، و لعل ذلك يظهر بصورة واضحة في قوله تعالى يخاطب نبيه ,: (لا تحرك به لسانك لتعجل به. إن علينا جمعه وقرآنه)(67).
فلقد نهاه عن أن يرهق نفسه و يتعبها بتحريك اللسان بالذكر وترديده خشية أن ينساه، و تعهد له بأن يجمعه له في صدره بدون عناء منه ,، و هذا منتهى الإشفاق و الحب.
و نهاه عن الحزن بسبب ما يسمعه من الكفرة إشفاقاً من المولى على قلب حبيبه الشريف من أن يدخل فيه الحزن، فقال له: (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر)(68).
لا بل نجد ما هو أعظم و أدل على ما حظي به الحبيب المصطفى ,من حب مولاه، و ذلك حين نجد المولى يهون عليه ويخفف عنه، فيذكر له علمه بحزن النبي,من تكذيب قومه له، و يبين له أنه لا ينبغي أن يحزن؛ فتكذيبهم ليس له ,، إنما هو جحود منهم وكفر بآيات المولى، فيقول له: (قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك و لكن الظالمين بآيات الله يجحدون)(69) حقاً إن هذه الآية توضح بصورة واضحة مدى حب المولى و غيرته على حبيبه ,، فهو يرد التكذيب إلى آياته سبحانه و تعالى حتى يبعد عن حبيبه ,الحزن من تكذيبهم له. و حين رأى المولى تفاني حبيبه ,في تبليغ الدعوة و حزنه الشديد على عدم هداية من ضل عن السبيل أقبل على حبيبه يخاطبه بلغة الإشفاق عليه من أن يصيبه أذى أو مكروه لكونهم لم يؤمنوا، فيقول له:(فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً) (70). وفي موطن آخر نجده ينهاه عن أن يهلك نفسه من أجلهم، حرصاً من المولى على حياة حبيبه ,وراحته، فيقول له:(فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون) (72)
و من هذا القبيل قوله له: (طه. ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى)(73)

OPEN ACCESS
CC BY

Al-Asr International Research Journal of Islamic Studies
Vol 5 Issue 2 (April-June, 2025)
ISSN E: (2790-7694)
ISSN P: (2790-7686)
Published:
May 5, 2025

فهو يحثه على أن يسعد بنزول القرآن عليه، و بنفس الوقت يبين أن سبب نزول القرآن هو إسعاد النبي .,و تتجلى لنا أيضاً غيرة المولى على حبيبه ,في قوله: (إلا تنصروه فقد نصره الله)(74) فهو يخاطب كل من قعد عن نصرة حبيبه ,قائلاً: إن تقاعدتم عن نصرته و مؤازرته فإنه ,غني عن نصرتكم بنصر الله الذي قد تحقق و وقع كما يدل على ذلك التحقيق بـ" قد " و التعبير عن النصر بالفعل الماضي الذي يدل على أن النصر الحقيقي قد وقع وتم من الله، و من تحقق له نصر الله فهو غني به عن نصرة من سواه.

و من الشواهد القرآنية على غيرة الله على حبيبه ,قوله تعالى: (ومنهم الذين يؤذون النبي و يقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله و يؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم و الذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم)(75).

فهناك طائفة من المنافقين قالوا عن رسول الله ,: هو أذن، يسمع كل يقال له فيصدقه بدون أن يتمعن في أمارات الصدق أو الكذب في الحديث، فلم يدع ربنا هذا القول بدون أن يرد عليه غيرة منه على حبيبه ,، فرد عليهم بأن النبي ,أذن خير، فأضاف "أذن" إلى "خير" كما يقال رجلُ صدقٍ فهو أبلغ من أن يقال رجلٌ صادقٌ؛ لأنه من قبيل ادعاء أنه رجل ينسب إلى الصدق لكثرته منه، فإضافة " أذن " إلى "خير" يدل على بلوغ النبي ,أعلى درجات الخيرية، قال المفسّرون: (من قبيل رجلُ صدقٍ في الدلالة على المبالغة في الجودة والصلاح، كأنه قيل: نعم هو أذنٌ ولكن نِعمَ الأذُنُ) .(76)

ثم جاءفى تفاسير " أذن خير " بأنه يؤمن، فهو ذكر تقبيح المنافقين و رد علىهم في لمزهم الحبيب ,، (77) و دفاع عنه ,، و بيان لخيرية رسول الله ,، و نفعه للمؤمنين، فهو ليس مجرد رحيم، إنما هو الرحمة كلها للمؤمنين، ثم لم يكتف ربنا بذلك بل توعد الذين يؤذون رسول الله ,بالعذاب الأليم، وهذا يستوجب منا -نحن المسلمين- أن نتجنب أي أمر فيه إيذاء لرسول الله ,، سواء أكان هذا الأذى في نفسه ,أم في قرابته و زوجاته وأهل بيته أم في صحابته الذين أحبهم وأحبوه.و مما لاشك فيه أن الغرض مما ذكره الله في كتابه من دفاع عن حبيبه ,أو غيرة عليه أو إشفاق عليه هو بيان مكانة هذا النبي ,عند الله؛ لتكون معرفتنا لتلك المكانة دافعاً يدفعنا إلى تعظيم النبي ,و تقديره و احترامه؛ لأن الواجب على من آمن بالله أن يعظم من عظمه الله و أن يقدر من قدره الله .

OPEN ACCESS
CC BY

Al-Asr International Research Journal of Islamic Studies
Vol 5 Issue 2 (April-June, 2025)
ISSN E: (2790-7694)
ISSN P: (2790-7686)
Published: May 5, 2025

و في الختام أقول: أرجو أن أكون قد وفقت في هذا البحث المتواضع لبيان موجز عن عظمة النبي ,عند الله سبحانه و تعالى كما جاء في القرآن الكريم؛ لانه يبين سمو قدر رسول الله ,و يوضح عظمته و علو مكانته، حتى لا يتطرق إلى أذهاننا و لو من بعيد أن رسول الله ,ما هو إلا بشر أدى رسالة و حسب، كلا والله هو ,بشر، و لكنه ليس كسائر البشر، فهو من جعله ربه سيداً على كل البشر، والرسول ,يخبرنا بقوله: "انا سيد ولد آدم"(78) و هو لم تنته مهمته، و لن تنتهي، و الدليل على أنها لم تنته، و أن مهمته لا تنحصر في السنين التي أدى فيها الرسالة أنه ,هو صاحب الموقف المشهود و المقام المحمود و الشفاعة العظمى بعد انقضاء هذه الدنيا، و بعد الانتقال من دار البلاغ و التكليف إلى دار الحساب و الجزاء، وهناك دليل آخر على عدم حصر مهمته في سني تبليغ الدعوة، و هو أن الله بين لنا في كتابه أن مهمة رسول ,تسبق زمن بعثته، و ذلك؛ لأن الله جعله شهيداً على الأمم السابقة، فقال تعالى: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً)(79) . و قال أيضاً : (ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) (80) فمهمة الرسول ,ليست منحصرة في سني بعثته، بل تمتد في البداية و النهاية، فنسأل الله أن يجعلنا من محبيه ومحبي حبيبه ,و يفهمنا عظمته , حتى نعظمه حق تعظيمه. آمين و سلام على كل الانبياء و المرسلين بجاه سيد المرسلين .و الحمد لله ربّ سيد النّبيين والمرسلين.

مصادر والهوامش

(1) (الفتح: 9).
(2) (الأنبياء 107)
(3) (التوبة 61.)
(4) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المعروف بتفسير أبي السعود ج 3 ص 163.
(5) (التوبة 128.)
(6) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام إبراهيم بن عمر البقاعي ج 3 ص 407.
(7) لسان العرب م9 ص 135
(8) التحرير والتنوير لابن عاشور 11 / 239. ط الدار التونسية للنشر- تونس
(9) (الأحزاب 45 -46)
(10) (المائدة 15)
(11) تفسير أبي السعود ج2 ص 250

OPEN ACCESS
CC BY

Al-Asr International Research Journal of Islamic Studies
Vol 5 Issue 2 (April-June, 2025)
ISSN E: (2790-7694)
ISSN P: (2790-7686)
Published: May 5, 2025

(12) (القلم 4).
(13) (النجم 1- 2-3)
(14) (النجم- 10)
(15) تفسير التستري صـ 58 (التفسير الصوفي) للإمام محمد سهل بن عبدالله التستري م 283 هـ ط سلسلة كتاب ابن لقمان المنصوره , مصر.
(16) (يس 1-2-3-4).
(17) (آل عمران 164).
(18) (آل عمران 164)
(19) (المائدة 15-1).
(20) (الجمعة 29)
(21) (الشورى 52 -53).
(22) (الأعراف 157).
(23) (الشرح1)
(24) تفسير أبي السعود ج6 ص 433 .تفسير التستري صـــ 283 (التفسير الصوفي) للإمام محمد سهل بن عبدالله التستري.
(25) (الشرح – 4)
(26) تفسير التستري صـ 284 (التفسير الصوفي) للإمام محمد سهل بن عبدالله التستري .
(27) (الفتح 1-2-3)
(28) (الفتح 10)
(29) (الأحزاب 21)
(30) (النساء 80)
(31) (المائدة67)
(32) (الضحى – 4)
(33) تفسير التستري صـ 283 (التفسير الصوفي) للإمام محمد سهل بن عبدالله التستري .
(34) (الحجر 87)
(35) (الأحزاب 56).
(36) (الأعراف 157)
(37) معجم مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ص 373
(38) . انظر : تفسير روح البيان لأسماعيل حقى 252/3 ط –دارالفكر – بيروت , تفسير فتح القدير للشوكانى 288/2 , ط – دار ابن كثير –دمشق ,تفسير أبي السعود ج3 ص 280.
(39) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري 247/2 مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
(40) (آل عمران 31)
(41) (الطور48)
(42) (النساء 64)
(43) (الأنفال 33)

OPEN ACCESS
CC BY

Al-Asr International Research Journal of Islamic Studies
Vol 5 Issue 2 (April-June, 2025)
ISSN E: (2790-7694)
ISSN P: (2790-7686)
Published: May 5, 2025

(44) (الأنفال32)
(45) (الأنعام 133.)
(46) (الحجرات1.)
(47) تفسير التسترى صـ 210 (التفسير الصوفى) للإمام محمد سهل بن عبدالله التسترى .
(48) (التوبة 120)
(49) (الحجرات 2.)
(50) التفسـير فتحُ البيان في مقاصـد القرآن 131/13 لأبي الطيب محمد صـديق خان بن حسـن بن علي ابن لطف الله الحسـيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـــ) عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري
(51) (الحجرات 3.)
(52) (الحجرات 4.)
(53) التفسير فتحُ البيان في مقاصد القرآن 131/13 لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي
(54) (النور 62.)
(55) (النور63.)
(56) (الأحزاب 53)
(57) (المجادلة 12)
(58) (المجادلة 13)
(59) (براءة: 43)
(60) (عبس 1-2)
(61) (الضحى 5)
(62) (البقرة 144)
(63) (الضحى 1 -2 – 3)
(64) (القلم 1 -2)
(65) (الطور 29)
(66) (التكوير 22)
(67) (الأعراف 184)
(68) (القيامة 16 -17)
(69) (المائدة 41)
(70) (الأنعام33)
(71) (الكهف 6)
(72) (فاطر 8)
(73) (طه 1 -2)
(74) (براءة: 40)
(75) (التوبة 61)

OPEN ACCESS
CC BY

Al-Asr International Research Journal of Islamic Studies
Vol 5 Issue 2 (April-June, 2025)
ISSN E: (2790-7694)
ISSN P: (2790-7686)
Published:
May 5, 2025

(76) انظر تفسير زمخشرى 2/ 284 ط- دارالكتاب العربى –بيروت , تفسير البحر المحيط للاندلسى448/5 ط- دارالفكر- بيروت , تفسير النسفى 689/1 ط –دارالكلم الطيب- بيروت , تفسير أبي السعود 77/4

(77) انظر فى هذالمعنى, تفسير نيسابورى لنظام الدين حسين 496/3 , وفتح القدير للشوكانى 429/2, و التفسير المنير للدكتور وهبه الزحيلى 10282, دارالفكر المعاصر –دمشق.

(78) رواه مسلم فى صحيحه برقم 2278 , باب تفضيل نبينا ,.

(79) (النساء 41)

(80) (النحل 89)

OPEN ACCESS
CC BY